السنة التاسعة عَشْرة

قال خليفة: وفيها أسرتِ الرومُ عبدَ الله بن حُذافة السَّهْميَّ(١)، وذهبوا به إلى ملكهم وقالوا: هذا من أكابرِ أصحاب محمد ﷺ، فقال له الطاغيةُ: تَنَصَّرْ وأُشْرِكُكَ في مُلْكي، فقال: لو أعطيتَني جميعَ ما تَملك ما رجعتُ عن ديني، فقال له: تَنَصَّرْ وإلّا ألقيتُك في البَقَرةِ، فأبى، فدعا ببَقَرةٍ أو بقِدْرٍ من نحاسٍ، فصُبَّ فيها ماءٌ، وأُوقد عليها حتى التَهبت، ودعا بأسيرٍ من المسلمين، فألقاه فيها فإذا عظامُه تلوحُ، فأمر بعبدِ الله أن يُلقى فيها فبكى، فظنَّه قد جَزِع فقال: والله ما بُكائي من الموتِ، وإنّما أبكي حيثُ لم يكن لي إلا نَفْسٌ واحدةٌ تَفْعَلُ بها هذا في سبيل الله، وكنتُ أتمنّى أن يكون لي عددُ كُلِّ شعرةٍ فيَّ، أو في جسدي، أَنفسٌ تفعلُ بها هذا في الله تعالى.

فقال له الطاغية: هل لك أن تُقَبِّلَ رأسي وأُطْلقك؟ فقال: لا حتى تُطْلِقَ جميعَ أُسارى المسلمين، قال: نعم، فقبَّله فأطلق له ثمانين أسيراً، فلما دخل المدينةَ كان عمرُ في المسجدِ، فقام إليه وقبَّل رأسَهُ، وكان المسلمون بعد ذلك يُداعبونه فيقولون: قَبَّلْتَ رأسَ عِلْجٍ(٢)! وفي روايةٍ: أنَّ عمرَ كتب إلى الطّاغيةِ يتهدَّده فأطلقه.

وقد روى لنا الشيخ المُوَفَّقُ رحمه الله القصَّةَ بإسناده عن سليمان بن حبيب قال: ما اخْتُبِر أحدٌ من المسلمين مثل ما اختُبِر عبد الله بنُ حُذافةَ السَّهْمي، وكان قد شُكي إلى رسول الله ﷺ أنَّه صاحبُ مُزاحٍ وباطلٍ، فقال: «اتركوه، إن له بطانةً يُحبُّ الله ورسوله»، فرُمي على قَيْسارِيَّة، فأخذوه وبعثوا به إلى الطاغيةِ وهو بالقُسْطَنْطينية، فقال له: تنصَّر وأُنكِحك ابنتي، وأُشرِكك في مُلكي، فقال: لا أفعل، فقال: أقتُلُك، قال: فعجِّل، فأتى بأُسارى، فضرب أعناقَهم، فمدَّ عُنُقَه وقال: اضرِبْ، قال: فأتى ببَقَرةٍ من نُحاسٍ، فمُلِئت زيتاً، قال: وحَبَسه في بيتٍ وعنده لحمُ خِنْزيرٍ مشويّ، وخمرٌ ممزوج، فلم يأكُل ولم يشرب... وذكر إطلاقَ الأُسارى وتقبيل رأسِهِ(٣).

---

(١) تاريخ خليفة ١٤٢ .

(٢) تاريخ دمشق (عبد الله بن جابر ـ عبد الله بن زيد) ١٣٤ .

(٣) التبيين ٤٦٨ـ٤٦٩ ، وأخرجه ابن عساكر ١٣٤ـ١٣٥ ، ومن قوله: وكان المسلمون بعد ذلك يداعبونه... إلى هنا ليس في (أ) و(خ).

فصل

وفيها وسَّع عمر مسجدَ النبي ﷺ واشترى له الدُّور وأدخلَها فيه، وسقفه بالجَريدِ والعَمَدِ والخَشب.

وفيها ظهرت نارٌ عظيمةٌ من حَرَّةِ ليلى، بحيث سالت الحرَّةُ ناراً، قال الواقدي: فخرج عمر وجميعُ الصحابة إليها، فقيل له: إنَّ هذه آيةٌ من آياتِ الله لا تَنْدَفعُ بالقتالِ بل بالصَّدَقة، ففتح عمر بيتَ المال، وجاء كلُّ واحدٍ من الصحابةِ بمال: عثمانُ وطلحةُ وعبد الرحمن، فتصدَّقوا بهِ فطَفِئت.

وقال محمد بن حبيب الهاشمي: إنَّما ظهرت النار بخَيبر، ويحتمل أنَّها ظهرت في الموضِعَيْن.

وفيها بعث عمرُ عُثمانَ بن أبي العاص الثقفي إلى أَرْمينية غازياً في جيشٍ، فاستُشْهِد فيه صفوانُ بن المعَطَّل السُّلَمي، الذي قيل بسببه في الإفكِ ما قيل.

وقيل: إن غَزاةَ نَهاوَند كانت في هذه السنة، وقال ابن إسحاق وابن سعدٍ عن الواقدي: كانت في سنة إحدى وعشرين.

واختلفت الروايات في غزاة نهاوند:

فروى ابنُ ناصر بإسناده إلى الحسن قال: كانت الأعاجم من أهل قُومِس وأهل الرّي وهَمَذان ونهاوند قد تكاتبوا، وتعاقدوا على أن يُخرجوا العربَ من بلادهم، وكتب أهلُ الكوفة إلى عمر رضوان الله عليه بالخبر، فصَعِد المنبر، وأخبرهم الخبر، وقال: أَشيروا عليَّ، فقام طلحةُ رضي الله عنه فقال: أنت وليُّ الأمر، قد أحكمتَ التَّجارِب، وأنت مَيمون النَّقيبة، فمُرنا بأمرك، ثم قعد.

وقام عثمان رضوان الله عليه فقال: أرى أن تكتب إلى أهل الشام، [فيسيرون] من شامهم، [وتكتب إلى] أهل [اليمن فيسيرون] من يَمنهم، [وتسير] أنت بنفسك [من هذين الحَرَمَين إلى هذين المِصرين] من أهل الكوفة [والبصرة، فتلقى جموع المشركين في جموع المسلمين.

ثم قام علي بن أبي طالب رضي الله عنه فقال: إنك إنْ أشخصتَ أهلَ الشام] سارت الرُّومُ

إلى أهلهم وذَراريهم، وإن أشخصتَ أهلَ اليمن سارت الحَبَشةُ إلى ذَراريهم، وإنك متى شَخصتَ من هذين الحرمين انتَقَضَت عليك الأرضُ من أقطارها، حتى يكون ما تُخلّف خلفك من العَورات أهمَّ إليك مما بين يديك، ولكن أرى أن تكتب إلى أهل البصرة فيتفرقون؛ فِرقة تُقيم في أهلها، وفرقة يسيرون إلى إخوانهم بالكوفة، ثم يَسيرون إلى العدو.

فقال عمر رضوان الله عليه: صَدقتَ، فأشيروا عليَّ برجلٍ أُوَلّيه ذلك الثغر، قالوا: أنت أفضلُنا رأياً، قال: أشيروا عليّ واجعلوه عراقيّاً، قالوا: أنت أعلمُ بأهل العراق، فقال: لأُوَلِّيَنَّ رجلاً يكون قتيلاً في أوّل وَهْلة، قالوا: ومَن هو، قال: النعمان بن مُقَرِّن المزَني.

وكان النعمان بالكوفة فكتب إلى أهل الكوفة: أما بعد، فقد استعملتُ عليكم النعمان، فإن قُتل فعليكم حُذيفة بن اليمان، فإن قُتل فعليكم جرير بن عبد الله، فإن قتل فعليكم المغيرة بن شُعبة، فإن قُتل فعليكم الأشعث بن قيس.

وكان في كتابه إلى النعمان: أما بعد فإن في عَسكرك عمرو بن مَعدي كَرِب، وطُليحة بن خُوَيلد، وهما يُعدّان بأَلْفَيْ رجل، فشاوِرْهما في الحرب، ولا تُولِّهما عَملاً، ثم دعا السَّائب بنَ الأَقْرع، فدفع إليه الكتاب وقال: انطلق فاقرأْ كتابي على الناس، وانظر ذلك الجيشَ، فإن نَصرهم الله كنتَ الذي تَلي مَغانمهم، وإن وَهنوا فاذهب في الأرض، ولا أراك بعدها أبداً.

فسار السَّائبُ حتى قَدم الكوفة، فقرأ الكتاب على الناس، وبَعث إلى أهل البَصرة بكتابهم، فأقبلوا، وسار الناس مع النعمان، وأقبلت الأعاجم بجمُوعها حتى نزلت نَهاوَنْد[1].

وقيل: إن كتاب عمر رضوان الله عليه لما وَرد النعمان يَأمُره بالمسير إلى المشرق كتب إليه: يا أمير المؤمنين، أُمَّ بي أَشَدَّ الوُجوه وهي نَهاوَنْد، فإن الفُرس قد اجتمعت بها، وعليهم ذو حاجب نائب يَزدجرد، فكتب إليه: سِر إليها، فسار ومعه وُجوه

(١) المنتظم ٤/ ٢٧٢ـ٢٧٤ وما سلف بين معكوفين منه، وانظر تاريخ الطبري ٤/ ١٢٤ـ١٢٦ .

الصحابة: حُذيفة بنُ اليَمان، وعبد الله بنُ عمر، وجرير بن عبد الله، والمغيرة بنُ شُعبة، وعبد الله بنُ الزُّبير، وقيس بن المَكشوح، وطُليحة بن خُويلد، وعمرو بن مَعدي كَرب وغيرهم.

حديثُ الوَقْعة

قال علماءُ السير: سار النعمانُ بن مُقَرِّن بالناسِ على راياتهم، وكان مَسيرُ النعمان بأمر عمر بن الخطاب، وجعل يَقفُ على رايةٍ رايةٍ، فيحمَد الله ويُثني عليه ويقول: قد علمتُم ما أعزَّكم الله به من هذا الدِّين، وما وَعدكم به من الظُّهور، وقد أنْجَزَ لكم هَوادِيَ ما وَعدكم، وإنَّما بقيتْ أعجازُه وأكارِعُه، واللهُ مُنجِزٌ وَعدَه، ولا يَكونُنَّ على دُنياهم أحمى منكم[1] على دينكم؛ فإنكم تَنتظرون إحدى الحُسنَيَيْن: إمّا الشهادةُ، وإمّا الفتحُ القريبُ، فاستعِدُّوا فإني مُكبِّرٌ ثلاثاً، فإذا كبَّرْتُ الأولى فتهيّؤوا، وإذا كبَّرتُ الثانية فتأهَّبوا، وإذا كبَّرْتُ الثالثة فاحمِلوا.

فأقاموا ثلاثاً يقتتلون قتالاً شديداً، وكَثُرتِ الجراحاتُ بين الفريقين والقتلى، وباتَ المسلمون في ليلةٍ قَرَّةٍ، يُداوون جِراحاتهم، ويوقدون النّيران، وبات الكفار يَشربون الخمور، ويضربون بالطبولِ والمعازفِ.

وكان أهلُ نَهاوَنْد قد طرحوا حول البلد حَسَكَ الحديد، وبعث النعمان عُيوناً، فساروا لا يَعلمون بالحَسَكِ، فوَطئت دوابُّهم عليه، فعادوا وأخبروا النعمان، فرحل فنزل ناحيةً، فلما كان يوم الجمعة ركب النعمان فرساً أشهبَ، وعليه قَباءٌ أبيضُ، وعِمامةٌ بيضاء، وكان رجلاً آدمَ قصيراً، وخطب فقال: أيها الناسُ، إنكم اليومَ بابُ العربِ، فإن كُسِرَ البابُ اليوم دخل على المسلمين أمرٌ عظيم، فقالوا: نحنُ عند أمرِك، فمُرنا بما شئتَ، فقال: إني أُحبُّ القتالَ إذا زالت الشمسُ وهبَّتِ الرّياحُ، فلما زالت صلى بالناسِ صلاةَ الخوفِ، وهزَّ الرايةَ ثلاثاً، وكبَّر ثلاثاً، وحمل وحمل المسلمون.

وكان قد كتَّب الكتائبَ، وكان في مُقَدِّمتهِ ساريةُ بنُ زُنَيم أميراً على كُرْدوس، قد استبطن الوادي، وقد كَمن له جمعٌ من الفُرس، وحمل النعمانُ والناسُ معه قد كسروا

(١) في (أ) و(خ): فلا يكونن على دنياكم أحنّ منكم، والمثبت من الطبري ٤/ ١٣١، وانظر المنتظم ٤/ ٢٧١.

جُفون سُيوفهم، فكان النعمانُ أوّل قتيلٍ، فطرح عليه أخوه سُويدُ بن مُقَرِّن ثوبَه لئلا يُعرف، وأخذ سويدٌ الراية فإذا هي تَنْضَحُ دماً، وقيل: إن فرس النعمان زَلَق به في الدِّماء فصَرَعه، وأن الذي أخذ الرَّايةَ نُعيم بن مُقَرِّن، وقال المغيرةُ بن شعبة: اكتُموا مُصابَ أميركم حتى نَنظُرَ ما نَصنع.

وكان النعمان قد قال: اللهمَّ أعِزَّ دينَك، وانْصُرْ عبادَك، واجعل النعمانَ أوَّلَ شهيدٍ.

وأخذ اللواءَ حُذيفةُ بن اليمان، واقتتلوا إلى الليلِ، ونصر الله المسلمين، وكان الكفار قد قَرنوا ثمانين ألفاً في السلاسلِ، وحفروا حولهم خَندقاً، فلما هزمهم المسلمون، وقع منهم في الخندقِ مئةُ ألفٍ فماتوا، وقُتل عامّتهم في المعركةِ، وكان عليهم الفَيرزان أو ذو حاجب، فانهزم إلى هَمَذان، فأدركه القَعقاعُ على ثَنيَّة هَمَذان، والثنيَّةُ مَشحونةٌ بأحمالٍ فيها عَسَلٌ، فلم يَتخلَّصِ الفَيرُزانُ من الزحام، فقتله القعقاعُ، فقال المسلمون: لله جنودٌ من عَسَل.

وفي هذه الغزاةِ صاح عمر: يا ساريةُ، الجبلَ، قالها ثلاثاً، ثم خطب ونزل، فقيل له: ما هذا؟ فقال: والله ما ألقيتُ له بالاً، ولكنه شيءٌ أجراه الله على لساني.

وفي رواية ابن سعد: يا ساريةُ بن زُنَيم، الجبلَ الجبل، ظلم مَن استَرعى الذئبَ الغَنَم، فلما كان بعد أيامٍ وصل كتابُ سارية إلى عمر: إن الله فتح علينا يومَ الجمعة، في ساعة كذا وكذا، سمعنا صوتاً يقول: الجبلَ الجبلَ، وكان العدوُّ قد كَمن لنا في الوادي، فلما ارتفعنا الجبَلَ هَزمهم الله وكان الفتحُ.

وفي روايةٍ: إن عمرَ رأى ذلك في منامِه، فأصبح فصَعِد المِنْبَر وصاح، فقيل لساريةَ: أسمعتَ الصوتَ؟ قال: إي والله.

وقال هشام: ولما فتح الله نَهاوَنْد جاء راهبٌ إلى السائبِ بن الأقْرَع، وكان أميراً على كُردوسٍ، فسارَّه بشيءٍ وقال: إن دَلَلْتُك على كُنوزِ كسرى أأنا آمنٌ على نفسي وأهلي؟ قال: نعم، فجاء به إلى مكانٍ، فاستخرج منه سَفَطَيْن عظيمين، فيهما اليواقيت التي كانت ذخائرَ كِسرى ومَن تَقدَّمه، فرأى السائبُ ما أذهله، وقسم حُذيفةُ الأخماسَ، وأصاب الفارسُ ستَّةَ آلاف، والراجلُ ألفَين، وأما من الثيابِ والأمتعةِ والأطعمةِ

وغيرها فلا يُحَدُّ ولا يُحصى.

وكتم السائبُ السَّفَطين عن حُذيفة وعن المسلمين، وسار بالأخماسِ إلى المدينةِ، قال: فلقيتُ عمر فقال: ما الخبرُ؟ فقلتُ: استُشهِدَ النعمان، فبكى حتى اختلج صُدْغاه، وقلتُ: فتح الله نهاوَنْد، وقُتِل من العدوِّ مئةُ ألفٍ، ودفعتُ إليه الأخماسَ، ثم خلوتُ به فكشفتُ عن السفطين، فلما رآهما تَحيَّر ـ ويقال: إن قيمتهما أربعُ مئة ألف ألف دينار ـ فقال: اختُم عليهما، وأدخِلْهما بيتَ المالِ حتى أنظرَ في أمرِهما، قال: ففعلتُ، فقال: الحَق بجُنْدكَ، فخرجتُ، فبَعثَ في إثري رسولاً، فقال: ما نمتُ البارحةَ؛ مازال السفطانِ يشتعلانِ ناراً، والملائكةُ تَسحبُني إليهما يقولون: لنكوينَّك بهما، فخُذهما عني فاقسِمْهما بين المسلمين، فأخذتُهما ورجعتُ فقسمتُهما بين المسلمين.

وفي روايةٍ: إن الذي جاء بالسَّفَطَيْنِ الهِرْبِذُ، وقال: هُما عندي وَديعةٌ، فاتفق حُذيفةُ مع المسلمين أن يخبر بهما عمرَ، فبعثوا بهما إليه، فردَّهما إلى حُذيفة وقال: اقسمهما على مَنْ أفاءَ الله عليه.

وفي رواية أبي الفضل بن ناصر: أن دِهقاناً أتى إلى السائبِ بن الأقرعِ، وقال له: هل لك أن تُؤمنني على دَمي ودمِ ذوي قَرابتي وأدلُّك على كنز النَّخيرجان نائب كِسرى؟ قال: وما هو؟ قال: إنه كان للنَّخيرجان امرأةٌ يَنتابُها العالَمُ، وإنَّ كسرى كان يَختلفُ إليها ومعه وصائفُ عليهن الحليُّ والديباجُ، وكان لكسرى تاجٌ من الياقوتِ، وهو مدفون في مكانٍ لم يعلم به غيري، وأنَّ السائبَ أخرج السفطَيْن، وذهب بهما إلى عمر، وذكر بمعنى ما تقدَّم.

وفي هذه الرواية: فدعا عمرُ علياً وابن مسعودٍ وعبد الله بنَ أرقَم صاحب الخِزانة وقال: ضعوا خَوَاتِيْمَكُمْ عليهما حتى أنظرَ فيهما، ثم دفعهما بعد إلى السائب، فقسمهما في جامعِ الكوفةِ.

وقال سيف بن عمر: حدثنا عمر بن محمد، عن الشعبيّ[1] قال: لما قُدِم بغنائم

(١) من قوله: وفي رواية إن الذي جاء بالسفطين الهربذ... إلى هنا ليس في (أ) و(خ).

نَهاوَند على عمر بكى، فقال له عبد الرحمن بنُ عَوف: ليس هذا مكانَ بُكاءٍ وحُزنٍ، لكن بُشرى من الله وفَتحٌ، فافرحْ واحَمد الله فقال: ويحكَ يا ابن عوفٍ، إنَّه واللهِ ما كثُرتِ الصفراءُ والبيضاءُ في قومٍ قط إلا فُتِنُوا وتقاتلوا وتدابَروا، حتى يُدَمِّرَ الله عليهم.

قال: وجعل أبو لؤلؤةَ لا يَلْقَى من السَّبيِ صغيراً إلّا ووضع يده على رأسِهِ ومسحها وبكى، ولا يَلقى كبيراً إلا اشتكى إليه وقال: أكل عمرُ كَبدي، وكان أبو لؤلؤة من نَهاوَنْد.

وكان عمر يقول: ما بتُّ بليلةٍ بعد وفاةِ رسولِ الله ﷺ أعظم من ليلةِ نَهاوَنْد خَوفاً على المسلمين.

وروى دَغْلَجُ بن أحمد [بإسناده] عن شقيق بن سَلَمة الأسدي: أنَّ عمرَ جهَّزَ سَلمة ابن قيس الأَشْجَعيَّ إلى فارس، وأنه أصاب سَفَطَيْنِ من جنْسِ السَّفَطَيْنِ اللذَين ذكرناهُما، وأنه بعث بهما إلى عمر برِضى المسلمين، وأنه ردَّهما على سَلَمة بعد أن وَقف عليهما بالمدينةِ، وأنَّه أمره فقسمهما بين الغانمين[(١)]، وهي قصةٌ طويلةٌ حاصلها ما ذكرنا.

فصل: وحجَّ بالناس عمرُ بن الخطاب، وكان عُمّاله في هذه السنة على الأمصار الذين كانوا في العام الماضي.

فصل وفيها تُوفّي

الأغلبُ بن جُشَم

ابن سعد بن عِجْل بن جُشَم، كان شاعِراً مُفْلِقاً فصيحاً، عُمِّر دهراً طويلاً؛ فيقال: إنه عاش في الجاهلية مئة وثلاثين سنة، ثم أسلم وهاجر ونزل الكوفةَ واختطَّ بها، وشهد القادسية، وهو أوّلُ مَن قال الأراجيزَ على قولِ هشام.

ولما ولّى عمر المغيرة بنَ شُعبة الكوفة قال له: اكتب إليَّ مما قال الشعراء في الإسلام، فأحضر لبيداً والأغلب، وقال: أنشِداني، فأمّا الأغلب فقال: [من الرجز]

---

(١) المنتظم ٤/ ٢٧٦ـ٢٧٧، ومن قوله: وروى دعلج... إلى هنا ليس في (أ) و(خ).

أرَجَــزاً تُــريــدُ أم قَــصــيــدا
لــقــد ســألــتَ هــيِّــنــاً مــوجــودا

وقال للبيد: أَنشِد، فقال: قد أبْدَلَني الله سُوَرَ القرآن عِوضَ الشعر، فكتب المغيرة إلى عمر رضوان الله عليه بذلك، فكتب إليه: أَنقِص من عَطاءِ الأَغلب خمس مئة، ورُدَّها في عطاء لَبيد، فكتب الأغلب إلى عمر رضوان الله عليه: أَتَنْتَقِص من عَطائي أن أَطعتُك؟ فردّ عليه الخمس مئة، وأقرَّها في عطاء لَبيد.

واستُشهد الأَغلب في وقعة نَهاوَنْد رحمه الله تعالى[1].

فصل وفيها تُوفّي

خبّابُ

مولى عُتبةَ بنِ غَزْوان الذي اختطَّ البصرةَ، وكُنْيتُه أبو يحيى، من الطبقةِ الأولى من المهاجرين، آخى رسولُ الله ﷺ بينه وبين تميم مولى خِراش بن الصِّمَّة، شهد خبَّاب بدراً وأُحداً والخندقَ والمشاهدَ كلَّها مع رسولِ الله ﷺ.

قال ابن سعد: وتُوفّي بالمدينةِ في سنة تسع عشرة، وصلّى عليه عمر، وليس له رواية[2].

وفيها توفي

صفوان بن المعطَّل

ابن رُحيْضةَ الذَّكْواني السُّلَميّ صاحبُ الإفْكِ، من الطبقة الثالثة من الصحابة، وكنيتُه: أبو عمرو، أسلم قبل المُرَيْسيع، وكان على ساقةِ رسولِ الله ﷺ، وشهد الخندق وما بعدها مع رسول الله ﷺ، وكان مع كُرْز بن جابر في طلب العُرَنيِّين الذين أغاروا على لِقاح رسول الله ﷺ، وكان شُجاعاً فاضلاً خَيِّراً، أثنى عليه النبي ﷺ

(١) ترجمة الأغلب في طبقات ابن سلام ٧٣٧، والشعر والشعراء ٦١٣، والأغاني ٢١/ ٢٩، والمنتظم ٤/ ٢٨١، والإصابة ١/ ٥٦. ومن قوله: ولما ولى عمر المغيرة إلى هنا ليس في (ك).

(٢) طبقات ابن سعد ٣/ ٩٣، وانظر الاستيعاب (٦٥٨)، والإصابة ١/ ٤١٧.

وقال: «ما علمتُ عليه إلّا خَيراً»[١].

وقال ابن عبد البرِّ: لمّا نزل المسلمون على دمشق حمل صفوان على رجلٍ من الرُّوم بداريًّا، وعليه حِلْيةُ الأعاجم، فطعنه صَفوان فصرعه، فصاحت زوجةُ الرُّوميّ على صفوان، وأقبلتْ نحوه فقال: [من الكامل]

ولقد شَهِدْتُ الخيلَ يَسطعُ نَقْعُها ... ما بين داريّا دمشق إلى نَوى
فطعنتُ ذا حُلْيٍ فصاحت عِرْسُه ... يا ابنَ المعطَّلِ ما تُريد بما أرى
فأجبتُها إني لأتركُ بَعْلَها ... بالديرِ مُنْعَفِرَ المضاحكِ بالثّرى[٢]

واختلفوا في وفاته، فقال أبو حذيفة إسحاق بن بِشر[٣]: بعث عمر بنُ الخطابِ عثمانَ بن أبي العاص إلى أرمينية في سنة تسع عشرة، وكان معه صفوانُ بنُ المعطَّلِ، فقُتل شهيداً.

قال أبو إسحاق السّنجاريّ: أتينا بَوْلاءَ في بَعْثٍ، فقال لي شيخٌ من أهلها قد جاوز المِئة: أتُريدُ أن أُريك قبر صفوان بن المعطَّل؟ قلتُ: نعم، فقال: ها هو على بابها قَدْرَ رمية حَجَرٍ، رَميناه فقتلناه، وبلغ عمرَ، فدعا علينا دعوةً إنّا لنَعْرِفُها إلى الساعةِ.

وكان يوم[٤] استُشهدَ ابنَ بِضْعٍ وستين سنةً، وحكى ابن سعدٍ عن الواقديّ: أنه استُشهد بسُمَيْساط سنة ستين، وكذا قال جدّي في «المنتظم» وذكره في سنة ستين، والله أعلم[٥].

وقال ابن عبد البرِّ: غزا الرومَ سنة ثمانٍ وخمسين، فجعل يُطاعنُ، فاندقَّت ساقُه فمات[٦].

---

(١) أخرجه البخاري (٤١٤١)، ومسلم (٢٧٧٠) من حديث عائشة رضي الله عنها.
(٢) أخرجه ابن عساكر ٨/ ٣٤٦ (مخطوط)، ولم نجده عند ابن عبد البر.
(٣) جاء في (أ) و(خ) بدل هذا الكلام: استشهد بأرمينية وقيل تأخرت وفاته، وفي (ك): واختلفوا في وفاته فقال ابن إسحاق عن بشير، والمثبت من تاريخ دمشق ٨/ ٣٥٥ .
(٤) من هنا إلى نهاية ترجمة صفوان ليس في (أ) و(خ).
(٥) الطبقات ٥/ ١٥٦ ، والمنتظم ٤/ ٢٨٢ .
(٦) الاستيعاب (١٢٠٢).

قلت: والأوَّلُ أشهر، نصَّ عليه أبو أحمد الحاكم، فقال: وقولُ مَن قال إنه استُشهدَ بأرمينية أثبتُ[١].

وليس في الصحابةِ مَن اسمُه صفوان بن المعطَّل غيرُه، فأما غيرُ ابن المعطَّل فكثير.

وروى أحمد بإسناده عن أبي سعيد الخدري قال: جاءت امرأةُ صفوان بن المعطَّل إلى رسولِ الله ﷺ ونحن عنده، فقالت: يا رسول الله، إن زوجي صَفوانَ يَضربني إذا صلَّيْتُ، ويُفَطِّرني إذا صُمْتُ، ولا يُصلّي الفجرَ حتى تَطلع الشمسُ، قال: وصفوان عنده، فسأله عما قالت فقال: أما قولُها يَضربني إذا صلَّيْتُ، فإنَّها تقرأُ سورَتي، وقد نَهَيتُها عنها، فقال له: «لو كانت سورةً واحدةً لكفَت الناس»، وأما قولُها إني أُفطِّرها وهي صائمةٌ، فإنَّها تَصومُ وأنا رجلٌ شاب لا أَصبرُ، فقال رسول الله يومئذ: «لا تصومُ امرأةٌ منكنّ إلا بإذن زَوْجِها»، وأما قولُها إني لا أُصلّي حتى تطلع الشمسُ، فإنا أهلُ بيتٍ لا نكاد نستيقظ حتى تَطلعَ الشمسُ، فقال: «إذا استيقظتَ فَصَلِّ»[٢].

طُليحَة بن خُوَيْلد

ابن نَوْفَل بن نَضْلَة بن الأَشْتر الأَسدي، الذي تَنبَّأ بعد مُسيلمة، وكان مع الأحزاب على رسول الله ﷺ في غزاة الخندق، وَفَد على رسول الله ﷺ سنة تسعٍ وأسلم، فكان يُعدّ بألفِ فارس، ولما انفصل عن رسول الله ﷺ ارتدَّ عن الإسلام، وكتب إلى رسول الله ﷺ يُخبره بنبوَّته، وأن الذي يَأتيه يُقال له: ذو النُّون، لا يَكذب ولا يَخون، فقال رسول الله ﷺ: «لقد ذكر مَلكاً عظيماً»، وبَعث بالكتاب مع ابن أخيه، فأَغلظه لرسول الله ﷺ، فدعا عليه، فقُتل في الرّدّة كافراً.

ومن سَجْعه: والحمامِ واليَمام، والصُّرَدِ [الصَّوَّام][٣]، وما مضى من الأعوام، لأملكنّ العراقَ والشام. وكان له سيفٌ يُقال له: الجراز.

وهزمه خالد بن الوليد ﷺ إلى الشام، فنزل في كَلْب وآل جفنة الغَسّانيين، ثم

---

(١) تاريخ دمشق ٨/ ٣٤٩.

(٢) مسند أحمد (١١٧٥٩)، وينظر مشكل الآثار للطحاوي ٥/ ٥٢.

(٣) في (أ) و(خ): والحمام والصرد واليمام، والمثبت من تاريخ دمشق ٨/ ٥٩٩ (مخطوط).

أسلم، وخرج إلى مكة معتمراً في أيام أبي بكر رضي الله عنه، فمرَّ بجنَبات المدينة، فقيل لأبي بكر رضي الله عنه: هذا طُليحة، فقال بعد أن أسلم: دَعوه فقد هداه الله إلى الإسلام، وعاد إلى الشام بعدما قضى عُمرته.

ولما قام عمر رضوان الله عليه جاء طُليحةُ إليه مُبايعاً له، فقال له عمر رضوان الله عليه: أنت قاتلُ عُكَّاشة وثابت بن أَقرم، لا أُحبُّك بعدهما، فقال: يا أمير المؤمنين، وما تنقم من رَجُلين أكرمهما الله تعالى بيدي، ولم يُهنّي بأيديهما، وما كلُّ القلوب جُبلت على الحبّ، ولكن صَفحة جميلة، فإن الناس يَتصافحون على الشَّنَآن، فبايعه عمر رضوان الله عليه، وأسلم إسلاماً صحيحاً وقال: [من الطويل]

نَدمتُ على ما كان من قَتْلِ ثابتٍ وعُكَّاشَةَ الغَنْميِّ ثم ابنِ مَعْبَدِ
وأعظمُ من هاتَين عندي مُصيبةً رُجوعي عن الإسلام فِعْلَ التَّعَمُّدِ
وتَركي بلادي والحوادثُ جَمَّةٌ طَريداً وقِدْماً كنتُ غيرَ مُطَرَّدِ
فهل يَقبلُ الصِّدّيقُ أني راجِعٌ ومُعطٍ بما أحْدَثْتُ من حَدَثٍ يَدي
وأنّيَ من بعد الضَّلالةِ شاهدٌ شهادةَ حقٍّ لستُ فيها بمُلْحدِ
بأنّ إلهَ النّاسِ ربّي وأنني مُقرٌّ وأن الدّينَ دينُ محمّد

ولما خرج طُليحة إلى الشام هارباً هو وأصحابُه يُريدون الرُّوم ركبوا البحر مُلَجِّجين، وإذا بقَادِس من قَوادِس الرُّوم[1]، فيه جماعةٌ منهم، فنادَوْهم: إما أنْ تَثِبوا إلى سفينتنا، أو نَثِبَ إلى سفينتكم، فدنا منهم طُليحة، ووَثب حتى صار معهم في السّفينة، وغَشيَهم بسيفه، فقتل منهم مَن قَتَل، واستسلم مَن استسلم، وألقى نفسَه في البحر منهم جماعة فغرقوا، وبلغ ذلك عمر رضوان الله عليه فأعجبه.

وأقام طُليحة إلى أيام القادسيّة مُسلماً في قومه، لم يُغمَصْ عليه شيء، حتى جَهّزه عمر رضوان الله عليه إلى العراق، فقُتل بنَهاوَنْد رحمة الله عليه[2].

---

(١) القادس: سفينة عظيمة.

(٢) ترجمة طليحة ليست في (ك)، وانظر الردة للواقدي ١٠٠، وطبقات ابن سعد ٦/ ١٥٥، والاستيعاب (١٢٨٣)، و تاريخ دمشق ٨/ ٥٨٩، والمنتظم ٤/ ٢٨٢، والتبيين ٥١٣، والتوابين ١٥٢-١٥٤، والسير ١/ ٣١٦، والإصابة ٢/ ٢٣٤.

فصل وفيها توفي

عمرو بن معدي كَرِب

ابن عبد الله بن عمرو بن عُصْم بن عَمرو بن زُبَيد الأصغر، وكُنيتُه أبو ثور، وكان شُجاعاً فارساً، يُعدُّ بألفِ فارسٍ، كخالد بن الوليد والقَعقاع بن عمرو وطليحة وغيرهم، وله الغاراتُ المشهورة، والواقعات المذكورةُ، وكان قد كتب على سَيفه: [من الكامل]

ذَكَـرٌ عـلـى ذكـرٍ يَـصـولُ بـصـارمٍ ذكَـر يَـمـانٍ فـي يـمـيـن يَـمـانـي

وقد ذكرنا أن عَمْراً وفد على رسول الله ﷺ في السنةِ العاشرةِ وأسلم[١].

وحكى هشام، عن أبيه، عن عمرو قال: قَدِمتُ المدينةَ، فوافيتُ رسولَ الله ﷺ قافِلاً من تبوك، فأردتُ أن أَدنُوَ منه فمنَعني مَن حولَه، فقال لهم: دَعوه، فدنوتُ منه فقلت: انعَم صباحاً، أبيت اللعنَ، فقال: «يا عمرو، أسلِم تَسلم، ويؤمِّنُك الله من الفزعِ الأكبرِ، ذلك يومٌ يُصاحُ فيه بالناسِ، فلا يبقى ذو روحٍ إلّا مات، ولا ميّتٌ إلا انتشر، وتَسيرُ فيه الجبالُ، وتنشقُّ الأرضُ، وتَبرزُ النار لها لسانٌ، تَرمي بشَررٍ مثلِ قُلَلِ الجبالِ، فلا يبقى ذو روحٍ إلا انخلعَ قلبُه، وذكر ذَنْبه، فأين أنت من ذلك الفَزع يا عمرو؟» قال: فقُلتُ يا رسولَ الله، أما الآن فنعم، فأسلمتُ.

قال الواقدي: ولم يَحْسُن إسلامُه، وفي النفوسِ منه شيءٌ، وكان تأثيرُ ذلك أنَّه ارتدَّ بعد وفاةِ رسولِ الله ﷺ، ثم عاد إلى الإسلام.

وبعثه عمر إلى القادسية، وكتب إلى سعدٍ: قد أمددتُك بألفَي رجلٍ، منهم عمرو وطُليحةُ، فشاوِرْهما في أمر الحربِ، ولا تُوَلِّهما من أمر المسلمين شيئاً، وهذه كانت عادة أبي بكرٍ وعمر، لا يُوَلِّيانِ مَنْ أسلم ثم ارتدّ ثم أسلم شيئاً[٢].

وأبلى عمرو بلاءً حسناً يوم القادسيّة، وهو كان سبب هزيمة الفُرْس، قطع خراطيمَ الفِيَلة حتى انهزموا، ولعمروٍ يومئذٍ ثلاثون ومئةُ سنةٍ.

---

(١) سلف في السيرة.

(٢) من قوله: وبعثه عمر إلى القادسية... إلى هنا ليس في (أ) و(خ).

قال ابن سعدٍ بإسناده عن عبد الملك بن نَوْفل: إن عمرو بن معدي كَرِب قال: كانت خيلُ المسلمين تَنْفِرُ من الفِيَلة يوم القادسيةِ، فأمرتُ رجلاً فترَّسَ عني، ثم حملتُ على الفيلِ الأكبرِ، فضربتُ خَطْمَهُ بالسيفِ فقطعتُه، فنَفَر ونَفَرت الفِيَلةُ فحطَّمت العسكرَ، فانهزموا.

وقال عمرو[1]: إن الفِيَلَة ليس لها مَقتلٌ إلّا خراطيمَها، وليس للخراطيم إلا السُّيوفُ.

وقال ابن سعد بإسناده عن قَيس بن أبي حازم قال: شهدتُ القادسية، فسمعتُ عمرو بنَ معدي كَرِب وهو يمشي بين الصفَّين ويقول: يا معاشِرَ المسلمين، كونوا أُسوداً، إنّما الفارسي تَيْسٌ بعد أن يُلقي نَيْزَكه، فَحمل عليه أُسوارٌ، فالتقاه فألقاه، ثم جلس على صدرِهِ فذبحه، وأخذ سَلَبه[2].

ولعمروٍ واقعاتٌ عجيبة، فحكى هشام، عن أبيه، عن عمرو قال: حضرتُ في الجاهلية بذي المجَازِ ـ وهو سوقُ عرفات ـ فرأيتُ حُبَّى الكِنْديّةِ، فأعجبني جمالُها، فعرضتُ نفسي عليها وقلتُ: هل لكِ في كُفءٍ كريم، ضَروبٍ لهامِ الرجالِ غَشُوم، مُواتٍ لكِ، طيِّبِ الخِيم، من سعدِ العَشيرةِ في الصَّميم، قالت: من أيِّ سعدِ العَشيرةِ؟ قلتُ: من أُرومةِ مَحْتِدِها وغُرَّتِها المُنيرةِ، إن كُنتِ بالنَّسب بَصيرة، فقالت: إن لي بَعْلاً يَصدقُ اللقاءَ، ويُخيفُ الأعداءَ، ويُجزِلُ العطاءَ، قال فقلتُ: لو علمتُ أنَّ لكِ بعلاً لما سُمْتُكِ نَفسَك، ولا عَرضتُ نفسي عليكِ، فكيف أنت إن قتلتُه؟ قالت: لا أَصِيفُ عنك، ولا أَعدِلُ بك، ولا أُقَصِّرُ دونك، وإياكَ أن يَغُرَّكَ قولي، فتُعرِّضَ نفسك للقَتلِ؛ فإني أراكَ مُفْرَداً من الناصرِ، وبعلي في عِزٍّ من المالِ والأهلِ.

ثم قامت ومَشَت، فتبعتُها من حيثُ لا تَشعرُ، فلما قَدِمَت على زَوْجها سألها عمّا رأتْ في طريقها، فقالت: رأيْتُ رجُلاً مَخيلاً للبَأسِ، يتعرَّضُ للقتالِ، ويَخطبُ حَلائل الرِّجال، فعَرضَ عليَّ نفسَه، فوصفتُك له، فقال: ذاكَ ـ يعني بعلها ـ [عمرو]، وَلَدتني أُمُّه إن لم آتِكِ به مَقْروناً مَجنوباً إلى جملٍ صعب المراس، غير ذَلول.

(١) من هنا إلى ما بعد صفحات ليس في (أ) و(خ).

(٢) الأخبار الثلاثة في طبقات ابن سعد ٦/ ٢٧٠ .

فلما سمع عمرو كلامَه دخل عليه بغتةً، فقتله ووَقع عليها، فلما قضى وَطَرَه منها قال لها: إني لم أقَعْ على امرأةٍ قطّ إلّا حَمَلت، ولا أُراكِ إلا قد حَملتِ، فإن رُزِقتِ غلاماً، فسمِّيه الخُزَز، وإن رزِقتِ جاريةً فسمّيها عِكْرِشة،، وجعل ذلك بينهما أمارةً، ثم فارقها مُدّةً، ووَلَدت غلاماً، فسمَّتْه الخُزَز.

فخرج عمرو في بعضِ أيّامه يتعرّض للقتالِ، فالتقى فارساً مُدَجَّجاً في سلاحه، فالتقيا فصَرع عَمْراً، وجَثَم على صدرهِ ليَذبحه، فقال له: انتَسِب، فقال: أنا عمرو، فقام عنه وقال: الله أكبر، أنا ابنُك الخُزَز، فقال له عمرو: لا تُساكِنّي بعد اليوم في أرضٍ، فخرج إلى اليمنِ فسادَهم، وشكَوْا إليه غاراتِ أبيه فيهم، وقَتْلَه إيّاهم، وأمروه بقتله، فخرج يُريد قَتلَ أبيه، فالتقيا فقتله عمرو، ثم جاء الإسلامُ عُقَيْبَ ذلك فأسلم(١).

وكان عمر بن الخطاب يَسأله عن أشياء، أخبرنا غيرُ واحدٍ عن أبي الفضلِ بن ناصر بإسناده عن الشعبي قال: دخل عمرو بن مَعدي كَرِب يوماً على عمر بن الخطاب فقال له: يا عمرو، أخبرني عن أَشجع مَن لَقيتَ وأجبنِ من لَقيتَ، وأَحْيَلِ مَن لَقِيتَ، قال: نعم.

خرجتُ مرَّةً أُريد الغارَةَ، فمررتُ ببيتٍ في البرِّيَّةِ وعنده فرسٌ مَشدود، ورُمحٌ مَركوزٌ، ورَجُلٌ جالسٌ بِفنائه، مُحتَبٍ بسيفٍ، وهو كأعظمِ الرجالِ خِلْقَةً، فقلتُ: خُذْ حِذْرَكَ؛ فإني قاتِلُك، قال: ومَن أنت؟ قلت: عمرو بن مَعدي كَرِب، فشَهَق شَهقةً فمات، فهذا أجبنُ مَن رأيتُ.

قال: وخرجتُ مرَّةً فأتيتُ على حي وإذا بفَرسٍ مَشدودٍ، ورمحٍ مَركوزٍ، وصاحبُه في وَهْدَةٍ يَقضي حاجتَه، فقلتُ له: خُذ حِذْرَك فإني قاتِلُك، فقال: مَن أنت؟ قلتُ: عمرو بن مَعدي كَرِب، فقال: ما أنصفتَني يا أبا ثور؛ أنت على ظهرِ فرسك وأنا في بئر، فأعطني عهداً أنك لا تَقتلني حتى أركبَ فرسي، وآخذَ رُمحي. فأعطيتُه عهداً أنني لا أقتله حتى يركبَ فرسه، ويأخُذَ حِذره، فخرج من الوَهْدَةِ، ثم احتَبى بسيفه وجلس، فقلتُ: ما هذا؟ فقال: ما أنا براكبٍ فرسي ولا بمقاتلك، فإن نكثتَ العهد فأنت أعلم،

(١) المنتظم ٤/ ٢٨٣، وأمالي القالي ٣/ ١٥٠-١٥١.

فتركتُه ومضيتُ، فهذا أحْيَلُ مَن رأيتُ.

وخرجتُ يوماً، حتى انتهيتُ إلى مَوضعٍ كنتُ أقطعُ فيه الطريقَ، وإذا بفارسٍ أوَّلَ ما بَقَلَ وجهُه، من أجملِ الفتيانِ، قد أقبل من نحوِ اليَمامةِ، فلمّا دنا مني سلَّم، فرَدَدْتُ عليه وقلتُ: من الفتى؟ فقال: من نحو اليمامة، فقلتُ: انتَسِب، فقال: الحارث بن سعيد فارس الشهباء، فقلتُ: خُذْ حِذْرَك فإني قاتِلُك، فمضى ولم يلتفت، فأعدتُ عليه القولَ فقال: ويَلك مَن أنت؟ فقلت: عمرو بن مَعدي كَرِب، فقال: الحقير الذّليل، والله ما يَمنعُني من قتلك إلا استصغارُك، قال: فتصاغرَتْ إليَّ نفسي، وعَظُمَ عندي ما استقبَلني به، فقلتُ: خُذ حِذْرَك، فوالله لا ينصرِفُ إلّا أحدنا، فقال: ويلك، اغرُبْ، فإنّا أهلُ بيتٍ ما نَكَلْنا عن فارسٍ قطّ، فقلتُ: هو الذي تَسمعُ، واخْتَرْ لنَفْسك، فقال: إمّا أن تَطرُد لي وإمَّا أن أَطردَ لك، فاغتنمتُها منه وقلتُ: اطرُدْ لي، وحَمْلتُ عليه، حتى إذا قلتُ إني قد وضعتُ الرُّمحَ بين كتِفيه، إذا هو قد صار حِزاماً لفَرَسِهِ، ثم اتَّبعني فقرع برُمحه أو بقَناته رأسي، وقال: يا عمرو، خُذْها إليك واحدةً، فوالله لولا أني أكرهُ قتلَ مثلك لقتلتُك.

قال: فتصاغَرَتْ إليَّ نفسي، وكان الموتُ أحبَّ إليَّ مما رأيتُ، فقلتُ: واللهِ لا ينصرفُ إلا أحدُنا، فقال: اختر لنفسك، فقلتُ: اطرُد لي، فطرد، فحملتُ عليه حتى إذا ظننتُ أني قد وضعتُ الرُّمحَ بين كتفيه، وثَبَ عن فرسِه، فإذا هو على الأرضِ، فأخطأتُه ومضيتُ، فاستوى على فرسِهِ، وقَرَعَ بالقناةِ رأسي، وقال: ويحك يا عمرو، خُذْها ثانياً، واللهِ لولا أني أكرهُ قتلَ مثلك لقتلتُك.

فلما كان في الثالثة فعل ما فعل في الأولى والثانيةِ، وقال: إن عُدْتَ قتلتُك، فقلتُ له: اقتُلني فهو أحبُّ إليَّ مما أرى بنَفسي، وأن تسمعَ فتيانُ العربِ هذا، فقال: إنَّما العفوُ ثلاثٌ، وإن استمكنتُ من الرَّابعةِ قتلتُك، ثم قال: [من الرجز]

وَكَّــدْتُ أغــلاظـاً مــن الأَيْــمــان

إن عُــدْتَ يـا عــمـرو إلـى الـطِّـعـانِ

لــتُــزْجـرنَّ لــهـبَ الــسـنـان

أو لا فلستُ من بني شيبانِ

قال: فهِبتُه هيبةً عظيمةً، وقلتُ له: إنَّ لي إليك حاجةً، قال: وما هي؟ قلتُ: أكونُ من أصحابك، أو أكون لك صاحباً ـ ورَضيتُ والله بذلك يا أمير المؤمنين ـ فقال: لستَ من أصحابي، فكان ذلك أشدَّ عليَّ وأعظمَ مما صَنع، فلم أزل أخضَعُ إليه، فقال: ويحكَ! وهل تَدري أين أُريدُ؟ قلتُ: لا، قال: أُريدُ الموتَ عِياناً، فقلتُ: وقد رَضيتُه معك، فقال: امضِ بنا.

فسِرنا جميعاً يومَنا حتى جَنَّنا الليلُ وذهب شَطرُه، ودنَونا من حيٍّ من أحياء العرب، فأومأ إلى قُبَّةٍ من قِبابِ الحيّ، وقال: يا عمرو، في تلك القُبَّةِ الموتُ الأحمرُ، فإمّا أن تُمْسِك عليَّ فرسي، فأنزل فآتي بحاجتي، وإمَّا أن أُمسكَ عليك فرسَك، فتَنزل فتأتيني بحاجتي، فقلتُ: لا بل انزِلْ أنت؛ فأنت أعرفُ بموَضع حاجتك مني، فرمى إليَّ بعِنان فرسه ونزل ـ ورضيتُ والله أن أكون له سائساً ـ ثم مضى فدخل القُبَّةَ، واستخرج منها جاريةً لم تَرَ عيناي مثلَها حُسْناً وجمالاً، فحملها على ناقةٍ، ثم سِرنا.

فلما طلع الفجرُ قال: يا عمرو، انظر هل ترى من أحدٍ؟ فنظرتُ فإذا بثلاثةِ فوارسٍ، فيهم شيخٌ كبيرٌ ـ وهو أبو الجاريةِ، وأخواها غلامانِ شابّان ـ فسلَّموا علينا، فردَدْنا السلامَ، ووقفوا ووقفنا، فقال الشيخُ: يا حارثُ، يا ابنَ أخي، خلِّ عن الجارية، فقال: ما كنتُ لأُخلِّيها، وما أخذتُها لهذا، فقال لأصغر ابنَيْه: اخْرُج إليه، فخرج وهو يجرُّ رُمحَه، فحمل عليه الحارثُ وهو يقول: [من الرجز]

من دون ما تَرجوه خَضْبُ الذَّابلِ
من فارسٍ مُسْتَلئمٍ مُقاتلِ
يَنمي إلى شيبانَ خيرِ وائلِ
ما كان سَيري نحوها بباطلِ

ثم طعنه فدقَّ صُلبَه، فوقع ميتاً.

فقال الشيخُ لابنه الآخر: اخرج إليه، فلا خيرَ في الحياةِ على ذلّ، فخرج إليه،

فأقبل الحارثُ عليه وهو يقول: [من الرجز]

لقد رأيتَ كيف كانت طَعنتي
اليومَ للقِرْنِ شديد همَّتي
والموتُ خيرٌ من فِراقِ خُلَّتي
فقَتْليَ اليوم ولا مَذَلَّتي

ثم طعنه فألقاه مَيتاً.

فقال له الشيخ: خلِّ عن الظَّعينةِ؛ فإني لستُ كمَن رأيتَ، فقال: ما كنتُ لأخَلِّيها، فقال له الشيخ: اختَر، فإن شئت طاردْتُك، وإن شئتَ نازلتُك، قال: نازِلني، فنزل الشَّيخُ والفتى، فقال الشيخُ: [من الرجز]

ما أرتَجي عند فَناءِ عُمْري
سأجعلُ السنينَ مثلَ الشَّهرِ
شيخٌ يُحامي دونَ بَيْضِ الخِدْرِ
إنَّ استِباحَ البَيضِ قَصْمُ الظَّهْرِ
سوف تَرى كيف يكون صَبْري

وتقدَّم الحارث وهو يقول: [من الرجز]

بعد ارتحالي وطويلِ سَفَري
وقد ظَفِرْتُ وشَفيتُ صَدْري
والموتُ خيرٌ من لباسِ الغَدْرِ
والعار أُهديه لحيٍّ بَكْرِ

ثم اختلفا ضَرْبتَيْن، ورفع الحارث السيفَ، فلما نظر الشيخ إلى أنه قد أهوى به إلى رأسه، ضربَ بطنَ الحارث ضَرْبةً قدَّ أمعاءه، ووقعت ضربةُ الحارثِ في رأسِ الشيخِ، فوقعا مَيِّتَين.

قال عمرو: يا أميرَ المؤمنين، فأخذتُ أربعةَ أفراسٍ وأربعةَ أسيافٍ، وقُدْتُ ناقةَ الظَّعينةِ، فقالت: إلى أين يا عمرو، وما أنت لي بصاحبٍ، ولو كنت صاحبي لسلكت سبيلَهم، فقلتُ: اسكُتي، فقالت: أَسْكتَ اللهُ نَأْمَتك ـ أي: صَوْتَك ـ ثم رَمَتْ بنَفْسها إلى الأرض، وقالت: واللهِ لا تَصِلُ إليَّ أبداً، ولستُ كمَن رأيتَ، وإن كنتَ ذاك الرجلَ فأعطني سيفاً، فإن غلبتَني فأنا لك، وإن غلبتُك قتلتُك، قال: فقلت لها: ما أنا مُعْطيكِ ذلك، وقد عرفتُ أصلَك، وشجاعةَ قومِك، فأقبلتْ إليَّ وهي تقول: [من الرجز]

أبـعـد مـا شـيـخـي وبـعـد إخـوتـي

أطـلـبُ عـيـشـاً بـعـدهـم فـي لـذَّتـي

هـلّا يـكـون قـبـل[1] ذا مَـنِـيَّـتـي

ثم أهوتْ إلى الرُّمح، وكادت تَنتزعه من يدي، فلما رأيتُ ذلك منها خِفْتُ إن هي ظَفِرت بي أن تَقتُلني، فقتلتُها، فهذا أعجبُ ما لقيتُ يا أمير المؤمنين، فقال عمر: صدقتَ، وعجبَ من ذلك.

وقال الهيثم[2]: كان عمر يحبُّه ويُكرمُه ويَسأله، قال له يوماً: ابعث إليَّ بصَمْصَامتك، فبعث بها إلى عمر، فلم يَرَ فيها ما بَلَغه عنها، فقال له عمر في ذلك، فقال: سألتَني أن أبعثَ إليك بالصَّمْصَامةِ، ولم تَسألْني أن أبعثَ إليك بالساعدِ الذي يَضربُ بها.

قال: وقال له عمر: ما تقول في الحربِ؟ فقال: مُرَّةُ المذاق، إذا كشفتْ عن ساق، من صبرَ فيها عُرِف، ومن ضَعُفَ فيها تَلِفَ، ثم قال: [من الكامل]

الـحـربُ أوَّل مـا تـكـون فَـتـيَّـة   تَـسـعـى بـزيـنـتـهـا لـكـلِّ جَـهـولِ
حـتـى إذا حَـمِـيـتْ وشـبَّ ضِـرامُـهـا   عـادتْ عـجـوزاً غـيـرَ ذاتِ خَـلـيـلِ
شـمـطـاء جَـزَّتْ رأسَـهـا وتـنـكَّـرتْ   شـمـطـاء لا لـلـشـمِّ والـتَّـقـبـيـلِ

قال: فما تقول في الرُّمحِ؟ قال: أخوك وربَّما خانك، قال: فالنَّبْلُ؟ قال: منايا

(١) في (ك): بعد، والمثبت من المنتظم ٤/ ٢٨٩.

(٢) إلى هنا ليس في (أ) و(خ) مما أشير إليه قبل صفحات.

تُصيبُ وتُخْطىءُ، قال: فالسيفُ؟ قال: رفيقٌ صالح، قال: فالدرعُ؟ قال: حِصنٌ حصينةٌ، قال: فالتُّرس؟ قال: عليه تَدورُ الدوائر، وفي رواية: فالسيف؟ قال: عندها قارَعَتْكَ أُمُّك عن الثُّكلِ، فقال له عمر: بل أُمُّك، قال: أُميّ، والحُمّى أَضْرَعَتْني لك، وهذا مثل[١]، ومعناه أن الإسلام أذلَّني، ولو كنتُ في الجاهليةِ ما تجاسَرْتَ أن تَرُدَّ عليَّ، وعمرو من شعراء الحماسة، رحمه الله تعالى[٢].

ذكْرُ وفاته: واختلفوا فيها؛ فالمشهور أنَّه قُتِلَ بنَهاوَنْد مع طُليحةَ والنعمان بن مُقرِّن، وقُبورُهم في مكانٍ واحدٍ.

وقال الهيثم: استُشهد برُوْذَةَ بين قُمّ والرَّيّ، خرج في غارةٍ فقُتِلَ، وقيل: إنَّه عاش إلى أيامِ معاوية.

وليس في الصحابة من اسمه عمرو بن معدي كَرِب سواه، وله روايةٌ عن النبي ﷺ، وَرَثَتْه امرأتُه، يعني امرأة عمرو بن معدي كَرِب[٣].

النعمان بن مُقَرِّن

من الطبقة الثالثة من المهاجرين، وكُنيتُه أبو عمرو، وشهد الخندق والحُدَيْبية مع رسول الله ﷺ هو وإخوتُه الستّة، وحمل أحدَ ألوية مُزَينة الثلاثة، التي كان رسول الله ﷺ عقدها لهم يوم الفَتْح، وكانت مُزَينَة قد أُلِّفت يومئذٍ، ولم يُؤلَّف من قبائل العرب غيرُها، ولمزينة مَحلَّتان بالمدينة، وليس لغيرهم ذلك.

حَدَّث كَثير بنُ عبد الله المزَنيّ، عن أبيه، عن جدّه ـ وكان قد حضر نَهاوَنْد ـ قال: كان أميرُ الناس يومئذٍ النُّعمان بن مُقَرِّن، وكان أوّلَ قتيلٍ، فأخذ [الراية] سويد[٤] بن

---

(١) جمهرة الأمثال ١/ ٣٤٨، ومجمع الأمثال ١/ ٢٠٥.

(٢) في (أ) و(خ): وعمرو شعير الحماسة رحمه الله تعالى، وليست في (ك). وقد رُوي له في الحماسة ثلاث مقطعات، انظر شرح المرزوقي (٢٩) و(٣٤) و(٣٥).

(٣) انظر ترجمته وأخباره في طبقات ابن سعد ٦/ ٢٦٨ و٨/ ٨٥، والشعر والشعراء ٣٧٢، والاشتقاق ٤١١، والمؤتلف والمختلف ٢٣٤، والأغاني ١٥/ ٢٠٨، ومعجم الشعراء ١٥، والاستيعاب (١٧٧٦)، والعقد الفريد ١/ ٩٣ و١٧٩، وسمط اللآلي ٣/ ٦٣ـ٦٤، وتاريخ دمشق ١٣/ ٦١٩ (مخطوط)، والمنتظم ٤/ ٣٨٢، والإصابة ٣/ ١٨، والخزانة ٢/ ٤٤٤، وديوانه ١٥٤.

(٤) في (أ) و(خ): يزيد، وهو خطأ، وترجمة النعمان ليست في (ك)، والمثبت من طبقات ابن سعد ٥/ ١٤٦.

مُقَرّن، حتى إذا اجتمعت الغنائم قَسمها السَّائب بنُ الأَقْرع الثَّقَفي، فأسهم للفرس سَهمَين، ولصاحبه سَهْماً، فأصابَني اثنا عشر ألف سهم، وكنت راجلاً.

وله صُحبة ورواية، وذكر [ابن سعد] إخوته: سُوَيد بن مُقَرّن، ويُكنى أبا عَدِيّ، وله صُحبة ورواية، وسِنان بن مُقَرّن، له صُحبة، وكذا عَقيل بن مُقَرّن، وعبد الرحمن بن مُقَرّن، له صُحبة، رحمهم الله تعالى(١).

❁ ❁ ❁ ❁

(١) ترجمته في طبقات ابن سعد ٨/ ١٤١، والمعارف ٢٩٩، والاستيعاب (٢٥٨٩)، والمنتظم ٤/ ٢٩٠، والإصابة ٣/ ٥٦٥، والسير ٢/ ٣٥٦.